أسباب الثبات

فإن حاجة المسلم اليوم لأسباب الثبات على دين الله أعظم حاجة، لانتشار الفتن، وقلة الناصر، وغربة الدين، فمن تلك الأسباب:

الإقبال على كتاب الله حفظا وتلاوة وعملاً، فهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، من تمسك به عصمه الله، ومن أعرض عنه أضله الله،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ النحل. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الفرقان.

ولا طريق إلى فهم كتاب الله إلا هدي رسول الله ﷺ قال ﷺ ((**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي عضوا عليها بالنواجذ**))

وهذا هو الكلم الطيب والعلم النافع، ثم أتبعه بالعمل الصالح والمداومة عليه قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾ النساء. و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ البقرة

ولقد كان النبي ﷺ يداوم على الأعمال الصالحة، وكان أحب العمل إليه أدومه وإن قل،وكان إذا عمل عملاً أثبته ﷺ.

ومن أسباب الثبات: تدبر قصص الأنبياء في القرآن للاعتبار والعمل،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ هود. فالآيات تنزل لتثبت فؤاد النبي ﷺ وأفئدة المؤمنين معه

ومن أسباب الثبات: الدعاء، وما أدراك ما الدعاء؟ فإنه هو العبادة، وإن من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم كما علمنا سبحانه أن نقول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾ البقرة وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ آل عمران

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول: ((**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**)). ويقول: ((**إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**)) وقال ﷺ ((**تعوذوا من الفتن ماظهر منها وما بطن ومن فتنة القبر وعذاب النار وفتنة المسيح الدجال**)). .

ومنها: ذكر الله، وهو من أعظم أسباب التثبيت، وتأمل في هذا الاقتران في قوله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الأنفال. فجعله أعظم ما يعين على الثبات.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم

ومن أعظم أسباب الثبات: الدعوة إلى الله عزوجل، وهي وظيفة الرسل وأتباعهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾ محمد

والعبد إذا حرص على هداية الخلق، فإن الله تعالى يجعل ثوابه من جنس عمله، فيزيده هدىً وثباتاً على الحق، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾ الرحمن. فهم يدعون إلى الحق ويرحمون الخلق، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قال ﷺ: ((إن من أمتي قوماً يعطون مثل أجور أولهم: ينكرون المنكر)) رواه أحمد.

ومن أسباب الثبات: الرفقة الصالحة: فمصاحبة الصالحين الأخيار،

والجلوس معهم، من أكبر العون على الثبات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ الآية الكهف: ٢٨

وجاء في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين رجلاً أنه سأل عالماً فقال له: من يحول بينك وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناس يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. متفق عليه

يقول ابن القيم رحمه الله يصف صحبته لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

((وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، وآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم بطلبها و المسابقة إليها.))

ومن أسباب الثبات: حسن الظن بالله والإحسان في عبادة الله والرضا بقضاء الله ويجمع ذلك ويحفظه لك، الصبر، فإنه من أعظم أسباب الثبات على دين الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ البقرة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((**من يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً ولا أوسع من الصبر**)) متفق عليه

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن النبي ﷺ ، قال: ((**فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله**' قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم، قال: **أجر خمسين منكم**)).

ومنها: التفكر في نعيم الجنة وعذاب النار، وتذكر الموت، فعندما يتدبر المؤمن قوله تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ آل عمران

وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥ ﴾ آل عمران

فإنها تهون عليه الصعاب، ويزهد في دنيا التراب، وتشتاق نفسه إلى الدار الآخرة وحسن المآب.

وكان النبي ﷺ يذكر أصحابه في محنتهم بالجنة ، فقد مر النبي ﷺ على ياسر وعمار وأمه، وهم يؤذون في سبيل الله ، فقال: ((**صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة**)).

اللهم إنا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار.